من خصائص العربية

محمد السيد علي بلاسي
مدرس أصول اللغة المساعد
في كلّية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

I ـ دوران المادة حول معنى واحد

لقد ميز الله العربية بميزات عديدة جعلتها فريدة من نوعها بين اللغات ! من بين ذلك : دوران المادة فيها حول معنى واحد، بمعنى : أن كل مادة في العربية تدور حول معنى واحد مهما تصرفت..

فالألفاظ في اللغة العربية لها أصل ترجع إليه بمثل المادة الأصلية التي تدل على المعنى المصدري ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف، أو نقصها، أو تغيير الحركات، ومع ذلك فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها، وكأنها مجموعات أسرية تتلاقى كل منها في إطار واحد، وتتجانس وتتشاكل إلى حد يمكن منه معرفة الشقيق والغريب والدخيل، ويمكن منه كذلك معرفة نشوء اللغة كيف تطورت معالم ألفاظها ومعانيها وارتباطها بعضها ببعض... والاشتقاق يكشف هذه الحقيقة، فلو تتبعنا مادة معجمية ودرسناها وأمعنا النظر في المعاني التي تدل عليها ألفاظها، لوجدناها ترتبط بمعنى عام يشمل هذه المعاني ويعد مركزا لها تتفرع عنه وتدور حوله..[1].

فمثلا مادة (ح د ق) نجد أنها تدور حول الإحاطة والاستدارة، ومنها : حدقة العين، والحديقة، وأحدق بهم الخطر... ونحو ذلك.

وتلك ميزة، عزت أن تكون في لغة من اللغات إلا في اللغة العربية... !

فمثلا كلمتا أخ وأخت ترجعان إلى مادة (أخو) في العربية، على حين نجدهما مختلفين لا رابط بينهما في اللغات الأجنبية، فهما في الفرنسية مثلا : frère وsœur، وفي الإنجليزية brother وsister، ونحو

ث كثير.. وتلك ميزة للغتنا الشاعرة : فإنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت، اتفق أو تقارب المعنى، والعكس بالعكس...[2].

هذا بخلاف اللغات الأخرى، فإننا نجد فيها كلمات لا يوجد ما يدل على أنها من أصل واحد مع تقاربهما في الحروف، مثل كلمتي : canine وchien في الفرنسية، إذ المعنى مختلف بينهما تماما، فالأولى بمعنى (عادات) والثانية بمعنى (كلب).

كذلك نجد كلمات ذات أصل معنوي واحد، غير أنها لا تشترك في المادة، مثل كلمتي capitain (رئيس فريق كرة) وchef (رئيس حكومة)، لهما أصل معنوي واحد هو الرئاسة، ولا يشتركان في مادة واحدة ـ فحروف كل منهما تختلف عن حروف الأخرى ـ مع أنهما يرجعان إلى كلمة : caput اللاتينية ومعناها (الرأس)[3].

كذلك لفظ (الصديق) في العربية من الصدق و(العدو) من العدوان، في حين أن كلمة : ami = صديق في الفرنسية وهي مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة وكلمة ennemi = عدو لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي بمعنى البغض. فالمفهوم العربي للصداقة مبني على الصدق وللعداوة على العدوان، على حين أنه عند الفرنسيين مبني على أساس الحب والبغض ![4].

من هنا، فإن اللغة العربية ـ كما يقول الأستاذ العقاد ـ : تعتبر في مقدمة اللغات جميعا، تعبيرا ودلالة، وتصويرا للمجتمع الذي لهج ـ ويلهج ـ بها، ففي ألفاظها التي طبعت الأزمان التاريخية المتطاولة ما يدل على أصلهم وتاريخهم وعقليتهم، فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة. فالكتابة والشكل : بمعنى القيد، والرسم : أثر خطو الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم، والبلاغة : من الوصول إلى غاية المسير، والفصاحة : من اللبن الفصيح الذي زال رغوه، والدلالة للقافلة كالدلالة في الكلام...[5].

وتلك صورة من صور التمام اللغوي الذي اتسمت به لغتنا الخالدة، ولم يكن هذا التمام الكلي الشمولي الجامع للغة العربية ناجما عن تطور تكاملي، وتدريجي متنام، استغرق أزمانا تاريخية مديدة، كما لم يكن ناتجا عن عمل تشكيلي مصنوع، نشأ على أيدي علماء اللغة، وإنما كان شيئا ذاتيا مطبوعا، فطرت عليه هذه اللغة منذ أن وجدت، ولازمها طوال حياتها، وسيكون إياها أبد الآبدين..[6].

نشأة فكرة الدوران وتطورها :

ونظرا لأن فكرة الدوران تدور حول التقليبات للمادة، لذا فنحن نرى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي، هو الهادي لهذه الفكرة ـ وإن لم تكن قد قررت بعد ـ وذلك من خلال معجمه «العين»، حيث رتبه ترتيبا صوتيا متبعا طريقة التقليبات التي تلحظ وضع الكلمة وتقلباتها في مكان واحد مهما اختلف ترتيبها، وهذا المكان هو أبعد الأصوات مخرجا..

وليس غريبا على الخليل ـ عالم اللغة المشهور ـ أن يكون هو الرائد في مثل تلك الهداية، فلقد كان دائما ـ كما يقول محقق كتابه «العين» : «نبراسا وهديا لعلماء اللغة، والنحو، والصرف، والعروض، والعلوم اللسانية بصفة عامة، بأفكاره وتعليلاته وابتكاراته ![7].

ولقد سار على نهجه الأزهري في كتابه «تهذيب اللغة» متبعا طريقة الخليل من حيث التقليبات الصوتية ومثله أبو علي القالي في بارعه، إلى أن جاء

ابن دريد فألف معجمه «جمهرة اللغة» على طريقة التقليبات إلا أنه اتبع نظام الترتيب الهجائي العادي.

وكانت طريقة التقليبات ـ وخاصة عند ابن دريد ـ وكذلك طريقة الاشتقاق، التي سار عليها في كتبه، لاكتناه أسرار العربية : فاتحة عهد جديد في إدراك خصائص العربية، في دوران المادة حول معنى واحد، أو أكثر، وقد مهد ذلك الطريق الوعر لمن يستطيع السير فيه. وممن سار على دربه في اجتياز هذا المسلك الشاق، وركب هذا المركب الصعب، وأكد سلامة السير فيه، عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الذي استطاع أن يوسع دائرة الاشتقاق، ويبتكر ـــ على أساسه ـــ الاشتقاقين الكبير والأكبر، وكذلك معاصره أحمد بن فارس، فقد ألف معجمه «مقاييس اللغة»، منتهجا هذا المنهج ـ وإن اتبع في ترتيبه وترتيب كتابه الآخر المسمى بالمجمل طريقة الأبجدية العادية ـ. وكلا هذين العلمين في اللغة قد اعترف بأنه اطلع على كتب التقليبات، كالعين، والجمهرة، وإن لم يركن ابن جني إليها، لما وجد فيها من الخلط والاضطراب[8].

وعلى أية حال، فإن عالم اللغة الفذ ابن جني يعتبر هو المؤسس الحقيقي للاشتقاق بنوعيه الكبير والأكبر، والذي أرسى على أساسه العربية، وبين أصولها وفروعها، وأصيلها وزائدها، ودلالتها خاصة كانت أو عامة، وأصواتها، وما يحدث لها من إبدال، وغير ذلك مما يدل على سمو العربية، ويبين مبادئها اللغوية..[9].

الاشتقاق.. وفكرة الدوران :

من المقرر أن الألفاظ في اللغة العربية لها أصل ترجع إليه بمثل المادة الأصلية التي تدل على المعنى المصدري، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف، أو نقصها أو تغيير الحركات، ومع ذلك فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها، وكأنها مجموعات أسرية تتلاق كل منها في إطار خاص.

فلو تتبعنا مادة معجمية، ودرسناها، وأمعنا النظر في المعاني التي تدور عليها ألفاظها لوجدناها ترتبط بمعنى عام يضم كل هذه المعاني، ويعد أصلا لها تتفرع عنه.

وتكشف عن هذا دراسة الاشتقاق ـــ بأنواعه الثلاثة ـ : الصغير، والكبير، والأكبر[10].

ا ـ الاشتقاق الصغير : وهو ما اتحد فيه المشتق، والمشتق منه حروفا وترتيبا[11]. وكأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه[12].

فلو تتبعنا بعض المشتقات على هذا الطريق، لوجدنا أن الألفاظ التي تتألف مادتها الأصلية من حروف واحدة تدور حول معنى واحد.

مثال ذلك : مادة (س ل م) فإنها تدور حول معنى السلامة في تصرفها، نحو : سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسلم : اللديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة..[13].

ب ـ الاشتقاق الكبير : ويسمّيه ابن جنّي بـ : الاشتقاق الأكبر، ويوضحه بقوله : أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه[14].

ولتوضيح هذا نسوق بعض الأمثلة : ـــ

أولا : مادة (ج ب ر) : فهى أين وجدت

وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للقوة والشدة. وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهي : (ج ب ر)، (ج ر ب)، (ب ج ر)، (ب ر ج)، (ر ج ب)، (ر ب ج).

الأصل الأول : (ج ب ر) : منه : جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما. والجبر : الملك لقوته وتقويته لغيره.

الأصل الثاني : (ج ر ب) : تقول : رجل مجرب : إذا جرسته الأمور ومجذته، فقويت مُنَّته، واشتدت شكيمته. ومنه : الجراب : لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي اشتد وقوى.

الأصل الثالث : (ب ج ر) : والأبجر والبجرة : القوي السرة.

الأصل الرابع : (ب ر ج) : ومنه : البرج : لقوته في نفسه وقوة من عليه به. والبرج : لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف.

الأصل الخامس : (ر ج ب) : ومنه : رجبت الزجل : إذا عظمته وقويت أمره. ومنه : رجب : لتعظيمهم إياه عن القتال فيه. ومنه : الرجبة : فإنه إذا اكرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به. ومنه : الراجبة : أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها.

الأصل السادس : (ر ب ج) : ومنه : الرباجي : وهو الرجل الذي يفخر بأكثر من فعله، قال الشاعر :

ونلقاه رباجيا فخورا

تأويله : أنه يعظم نفسه، ويقوي أمره.

ثانيا : مادة (ق س و)، وتراكيبها : (ق س و)، (ق و س)، (و ق س)، (و س ق)، (س و ق)، وأهمل (س ق و). وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع.

الأصل الأول : (ق س و) : ومنه : القسوة : شدة القلب واجتماعه.

الأصل الثاني : (ق و س) : ومنه : القوس: لشدتها، واجتماع طرفيها.

الأصل الثالث : (و ق س) : ومنه : الوقس : لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد ويفحله.

الأصل الرابع : (و س ق) : ومنه : الوسق : للحمل، وذلك لاجتماعه وشدته. ومنه : استوسق الأمر : اجتمع. والليل وما وسق» : أي: جمع.

الأصل الخامس : (س و ق) : ومنه : السوق : وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض، وعليه قول العجاج :

مستوسقات لو يجدن سائقا

فهذا كقولك : مجتمعات لو يجدن جامعا.

ثالثا : مادة (س م ل)، وتراكيبها : (س م ل)، (س ل م)، (م س ل) (ل م س)، (ل س م).

والمعنى الجامع لها المشتمل عليها هو : الإصحاب والملاينة.

الأصل الأول : (س م ل) : ومنه : الثوب السمل : وهو الخلق، وذلك لأنه ليس عليه من الوبر والزئير ما على الجديد، فاليد إذا مرت عليه للمس لم يستوقفها عنه جدة المنسج، ولا خشنة الملمس. ومنه : السمل : الماء القليل، كأنه شيء قد أخلق

وضعف عن قوة المضطرب، وجمة المرتكض، ولذلك قال الشاعر :

حوضا كأن ماءه إذا عسل من آخر الليل رو بزي سمل

الأصل الثاني : (س ل م) : ومنه : السلامة : وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به.

الأصل الثالث : (م س ل) : ومنه : المسَل والمسْل والمسيل : كله واحد، وذلك أن الماء لا يجري إلا في مذهب له وإمام منقاد به، ولو صادف حاجزا لاعتاقه فلم يجد متسربا معه.

الأصل الرابع : (م ل س) : ومنه : الأملس والملساء : وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له.

الأصل الخامس : (ل م س) : ومنه اللمس : وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس، فإنما إهواء باليد نحوه، وصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولابد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه. ومنه : الملامسة : «أو لامستم النساء» : أي جامعتم، وذلك أنه لا بد هناك من حركات واعتمال، وهذا واضح.

الأصل السادس : (ل س م) : وهو مهمل. وعلى أنهم قد قالوا : نسمت الريح : إذا مرت مرا سهلا ضعيفا، والنون أخت اللام، وقالوا : ألسمت الرجل حجته : إذا لقنته وألزمته إياها.

قال الشاعر :

لا تلسمنّ أبا عمران حجته ولا تكونن له عونا على عمرا

فهذا من ذلك، أي سهلتها وأوضحتها[15].

ج ـ الاشتقاق الأكبر : ـــ وهو ما اتحد فيه المشتق والمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي وكان المختلف فيه متحدا مخرجا أو صفة..[16].

وقد أفاض ابن جني في شرحه للاشتقاق الأكبر، ورتب عليه نتائج مهمة من دوران المادة حول معنى واحد، بتنوع الحروف المتبادلة، ومناسبتها لمعانيها الموضوعة لها.

مثال ذلك : ـ سدّ وصدّ ـ بفتح السين وضم الصاد فالسين والصاد من مخرج واحد، هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى، ومتفقان في معظم الصفات، واللفظان يدلان على معنى واحد هو الحاجز، ولكنه يختلف قوة وضعفا ممّا جعل الحرفين يختلفان، فالسدّ للباب بسد والصد جانب الجبل، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز، ورأس القارورة، ونحو ذلك، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها للأضعف..[17].

من هنا، ندرك أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها، وتقلباتها حول معنى واحد عن طرائق الاشتقاق بأنواعها الثلاثة.

وهذا السلوك لم يكن واضحا لدى أرباب المعاجم اللغوية وإنما كانوا يذكرون الكلمات، وتقلباتها، ومعانيها دون محاولة للربط بينها، وقد حاول علماء اللغة ـ ومنهم ابن جني وابن فارس ـــ تطبيق هذا المبدأ، وإيضاحه بالتفصيل في مواد كثيرة[18].

ونظرية الدوران حول معنى واحد التي عرفها القدماء قد أوحت إلى المحدثين بسلوك هذا السبيل، وتحقيق النتائج الموفقة من طرائقه، فقد أدركوا أنه ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، والذهن يميل دائما في جمع الكلمات إلى اكتشاف عربي جديد يجمع بينها، والكلمات تتشبث دائما بعائلة لغوية بواسطة دوال المعنى أو دوال النسبة التي تميزها، أو

بواسطة الأصوات اللغوية التي تتركب منها، لا أكثر من ذلك، فنحن نشعر بأن الكلمات : إعطاء، عطية، عطاء، معط.. الخ، عائلة قائمة بذاتها تتميز بعنصر مشترك هو الأصل (ع ط ى) مهما تنوعت معاني المشتقات[19].

فائدة نظرية الدوران :

1 ــ تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد[20].

2 ــ معرفة الأصيل من الدخيل : فكلمة (مقاليد) بمعنى : مفاتيح، قد ظن أنها من مادة (قلد) وهو خطأ أمكن كشفه عن طريق الاشتقاق التاريخي، فبين أنها جمع (إقليد) وأصلها يوناني، وهو kleida[21].

3 ــ تفيد في إدراك الأحوال الاجتماعية للأمة التي تنطق باللغة كالصفقة[22]، والعقد[23] واليمين، فهذه تدل على عادات عربية قديمة. بل يكشف عن عمليات الأمم ومفاهيمها، كاشتقاق (الصديق) و(العدو) و(العقل) في العربية والفرنسية[24] ــ على نحو ما وضحناه آنفا ــ.

4 ــ توضح معاني الكلمات ــ أحيانا ــ فقال من (القول) وبناء من (ب ن ى)[25].

5 ــ الوقوف على المستعمل والممات من الكلمات.

6 ــ تعين على الوصول إلى أصل حروف الكلمة : ويوضح ذلك ابن جني بقوله : «ألا ترى أن أبا علي ــ رحمه الله ــ كان يقوّى كون لام (أثفية) فيمن جعلها (أفعولة) واواً بقولهم : جاء يثفة، ويقول : هذا من الواو لا محالة كيعده. فيرجع بذلك الواو على الياء التي ساوقتها في يثفوه وتثفيه. أفلا تراه كيف استعان على لام ثفا بفاء وثف، وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة، فكأنها لفظة واحدة !»[26].

7 ــ وأوسع هذه الفوائد، هو فهم اللغة، والتفقه فيها، وفهم أسرارها والدخول في عالمها الخاص، بهذا الربط المعنوي[27].

وبعد :

فمع أن لدوران المادة حول معنى واحد هذه القيمة اللغوية والاجتماعية، ومع أن لغتنا العربية تمتاز بها، إلا أنها ليست مطردة في كل مواد اللغة، لأنه يصعب في بعض المواد، ويخفى في بعض آخر، ومع هذا فإنك إن أنعمت النظر ولاطفته، وتركت الضجر وتحاميته لم تكد تعدم قرب بعض من بعض وإذا تأملت ذلك وجدته بإذن الله، فهو ــ كما يقول ابن جني ــ : موجود في أكثر الكلام، وفرش اللغة وإنما بقي من يثيره، ويبحث عن مكنونه..»[28].

II ـ الإتباع في اللغة العربية

كثيرا ما نستعمل في كلامنا الدارج كلمات متبعة بكلمات تتفق معها في وزنها وفي رويها غالبا. مثل : فلان وقع في حَيْص بَيْص، ورأيت اليوم امرأة شهلة كهلة، وظهرت مجلة «اللسان العربي» في ثوب جديد قشيب...

والحق أن هذه الاستعمالات التعبيرية عربية فصيحة، وقد وردت في بعض الأحاديث النبوية، مثل قول الرسول ﷺ للنساء اللائي جلسن في انتظار الجنازة : «ارجعن مأزورات غير مأجورات» (رواه ابن ماجة). وقد عرفت مثل هذه التعبيرات ـ لدى علماء اللغة ـ باسم : «الإتباع» وليست العربية بدعا في هذا الباب، فلقد شاركتها لغات أخرى فيه..

وفي هذا المقال سوف نجلي هذه الظاهرة اللغوية التعبيرية من حيث : معناها، وعلة تسميتها بذلك، وصورها في لغة العرب، وأنواعها، والغرض منها، والفرق بينها وبين الترادف والتوكيد والإبدال.

معنى الإتباع :

لقد عرفه عالم اللغة «ابن فارس» بقوله : «أن تُتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويها إشباعا وتأكيدا»[1] مثل : عطشان نطشان ويوم أيوم، وليلة ليلاء...

علة التسمية بالإتباع :

وإنما سمي إتباعا، لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة، فلهذا قيل : إتباع[2]. ومن هنا فإن التابع لا يكون بالواو، وقد صرفت أمثلة كبيرة بالواو عن باب الإتباع مثل : حياك الله وبياك، وما قيل في زمزم : هي لشارب حلّ وبلّ..[3].

صور الإتباع :

أ ـ أن تكون كلمتان متواليتان على روي واحد. مثل : حسن بسن.

ب ـ أن يختلف الرويان : مثل : ليلة ليلاء.

وتأتي هذه الصورة على وجهين :

أحدهما : أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى.

والثاني : أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق، إلا أنها كالإتباع لما قبلها[4].

الإتباع الصوتي :

ما ذكرناه من صور الإتباع يدخل تحت طي إتباع الكلمة بأخرى، تشركها في معظم حروفها، وتتفق معها في وزنها وفي رويّها غالبا.

غير أنه في لغة العرب صورة أخرى للإتباع يختص بالحركات، وهو ما يعرف بـ : «الاتباع الصوتي» وقد نسبه العلماء ـ غالبا ـ إلى قبيلة «تميم»، حيث ورد في كلمات كثيرة عندهم إتباع الحرف الأول من الكلمة للحرف الثاني في الحركة : قصدا للتخفيف، وعدم إعطاء الجهد العضلي في النطق. مثل «ضِحِكَ ضِحِكاً»، عوضا عن «ضَحِكَ ضَحِكاً»، فقد أثر صوت الحاء المكسور ـ وهو عين هذه الكلمة ـ على الضاد المفتوحة في أولها، فلم تعن تميم نفسها في تحقيق صوتين متعاقبين متنافرين، واستسهلت إتباع أولهما ثانيهما بسبب القرب والجوار..[5] ومن ذلك ـ أيضا ـ قولهم : لِئيم، نِحيف، رِغيف، كلها بكسر الحرف الأول..[6].

أنواع الإتباع :

يوضح القالي في «أماليه» أنواع الإتباع، فيذكر أنها على ضربين :

أ ـ ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به توكيدا، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. مثل قولهم : رجل قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى الجميل. وضئيل بئيل بمعنى واحد، وجديد قشيب بمعنى واحد أيضا.

ب ـ وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول، مثل ما يرويه أبو عبيد في غريب الحديث : في قوله ﷺ في الشبرم :[7] إنه حار يار. قال الكسائي : حار من الحرارة ويار إتباع.

ومن هذا الضرب ـــ أيضا ـــ قول العرب : حسن بسن، وجامع نائع، وعطشان نطشان[8]. والكلمة الثانية في هذا الضرب إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة، فلهذا قيل إتباع[9].

الغرض من الإتباع :

روى أن بعض العرب سئل عن ذلك، فقال هو شيء نَتِد به كلامنا[10]. ويرى الدكتور إبراهيم نجا ـ رحمه الله ـ[11] أن الغرض من الإتباع :

أ ـ التوكيد : إذا كان الثاني بمعنى الأول. نحو : يوم أيوم، وليلة ليلاء.

ب ـ الإشباع : إذا لم يفد معناه. نحو : عطشان نطشان، وعفريت نفريت[12].

الفرق بين الترادف والإتباع :

أ ـ يفيد المترادفان فائدة واحدة من غير تفاوت. أما التابع فلا يفيد وحده شيئا، بل شرط كونه مفيدا تقدم الأول عليه[13].

ب ـ يتميز التابع، بأنه لا يستقل وحده في الاستعمال، وأنه لا يتعين للتوكيد، بخلاف المترادف، فإنه إذا تكرر، أفاد التوكيد حتما[14].

الفرق بين الإتباع والتوكيد :

أ ـ التابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع، بخلاف التوكيد فإنه لا يشترط فيه ذلك[15].

ب ـ التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز[16].

ج ـ التأكيد يحسن فيه الواو العاطفة، بخلاف الإتباع[17].

د ـ الإتباع يكون للكلمة التي يختص بها معنى ينفرد بها من غير حاجة إلى متبوع[18].

الإتباع داخل في حكم التوكيد :

يذكر ابن الدهان في «الغرّة» : أنّ من التوكيد قسما يسمى الإتباع، نحو : عطشان نطشان. ويستدل على ذلك بكون الإتباع توكيداً للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه.

ويرى ابن الدهان : أن الإتباع من باب التوكيد اللفظي، نحو : رأيت رجلا رجلا، غير أنه في الإتباع غير منه حرف، مثل : حسن بسن، وعطشان نطشان، وشيطان ليطان...

وقال قوم : هذه الألفاظ تسمى إتباعا وتوكيدا[19]، وهو الأقرب ـــ في رأينا ـــ إلى الصواب، حيث بينا ـ آنفا ـ أن هناك فروقا بين الإتباع والتوكيد، كما أن من سمة الاتباع التوكيد..

صلة الإتباع بالإبدال :

جعل بعض العلماء كثيرا من صور الإبدال تدخل في باب الإتباع على أساس اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرفا واحدا، فقال في مثل حارّ يارّ : إن الحاء بدل من الياء. وفي قسيم وسيم : إن القاف بدل من الواو. وفي مثل جديد قشيب : إن القاف بدل من الجيم وهكذا... ومن المعلوم في باب الإبدال : أنه لابد من وجود تقارب بين المبدل والمبدل منه، ولم يتحقق ذلك في الإتباع إلا نادرا، لذا فإن ما ذكر من هذا اللون إنما هو من قبيل الإتباع لا الإبدال[20].

الهوامش

I ـ دوران المادة حول معنى واحد

(1) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 6، 175، 176 ـ بتصرف ـ، ط 3 ـ مطبعة الحضارة العربية سنة 1406هـ.
(2) انظر المرجع السابق : ص 178 وهامشها.
(3) نفس المرجع : ص 7, 178 وهامشها، وراجع : خصائص العربية ومنهجها الأصيل : د. محمد المبارك، ص 29، تجد مزيدا من التفصيل.
(4) د. محمد المبارك : فقه اللغة، ص 138، ط. جامعة دمشق سنة 1379هـ.
(5) عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة، ص 42، ط. مخيمر سنة 1960م.
(6) إسماعيل العرفي : اللغة العربية... أم اللغات، ولغة البشرية، ص 15، ط. أولى ـ دار الفكر بدمشق سنة 1406هـ.
(7) د. عبد الله درويش : مقدمة كتاب العين للخليل 5/1، ط. بغداد سنة 1386ه.
(8) د. عبد الغفار هلال : علم اللغة بين القديم والحديث، ص 36, 37 ـ بتصرف ـ، ط. الجبلاوي 1406هـ.
(9) المرجع السابق : ص 38، 39.
(10) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 175، 176.
(11) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 49، ط 1 السعادة سنة 1965م.
(12) العلامة ابن جني : الخصائص 134/2، تحقيق محمد علي النجار، ط 2 ـ دار الهدي ـ بيروت.
(13) المصدر السابق : 134/2. وراجع : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها : د. عبد الغفار هلال، ص 176 تجد مزيدا من التفصيل.
(14) العلامة ابن جني : الخصائص 134/2.
(15) المصدر السابق : 135/2-138 ـ بتصرف. ولمزيد من التفصيل راجع : فقه اللغة : د. إبراهيم محمد أبو سكين، ص 33-41، ط. الأمانة سنة 1404هـ.
(16) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 49.
(17) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية... خصائصها وسماتها، ص 173 ـ بتصرف يسير ـ.
(18) المرجع السابق : ص. 177.
(19) نفس المرجع : ص. 170.
(20) المرجع السابق : ص. 170.
(21) د. محمد المبارك : فقه اللغة، ص 60.
(22) تصوير لما كان يحدث بين المتبايعين من ضرب اليد على اليد، ولا يزال يحدث في البيع والشراء ونحوهما في الوقت الحاضر.
(23) كان المتعاقدان على أمر يعقدان طرفي ثوبيهما.
(24) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 179 وهامشها.
(25) المرجع السابق : ص 178.
(26) العلامة ابن جني : الخصائص 139/2.
(27) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 178.
(28) العلامة ابن جني : الخصائص 13/1، 138/2،152 وانظر : اللغة العربية... خصائصها وسماتها. د. عبد الغفار هلال، ص 179.

II ـ الاتباع في اللغة

(1) ابن فارس : الصاحبي، ص 458، ط. المكتبة السلفية بالقاهرة سنة 1328هـ.
(2) السيوطي : المزهر 415/1، ط. عيسى البابي الحلبي.
(3) المصدر السابق : 415/1 ـ بتصرف ـ.
(4) ابن فارس : الإتباع والمزاوجة، ص 28، تحقيق كمال مصطفى، ط. السعادة بمصر.
(5) د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 102، ط 10 ـ دار العلم للملايين سنة 1983م.
(6) ابن سيده : المخصص 213/14، ط. بولاق 1316 هـ. وراجع : في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس، ص. 98، ط 6 ـ مكتبة الأنجلو المصرية.
(7) الشبرم : ضرب من الشيح.

(8) السيوطي : المزهر 416/1، نقلا عن أمالي القالي، وراجع :. دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح، ص 239، وما بعدها، تجد مزيدا من التفصيل.

(9) السيوطي : المزهر 415/1.

(10) ابن فارس : الصاحبي، ص 458.

(11) د. إبراهيم محمد نجا : كان عميدا سابقا لكلية اللغة العربية ـــ جامعة الأزهر، ويعتبر المؤسس لقسم أصول اللغة بها، وله العديد من المؤلفات اللغوية.

(12) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 76، ط 1 ـــ السعادة سنة 1965م.

(13) السيوطي : المزهر 415/1، ـــ بتصرف يسير.

(14) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 76.

(15) - (16) السيوطي : المزهر 146/1.

(17) - (18) المصدر السابق : 425/1.

(19) نفس المصدر : 424/1, 425.

(20) مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ـــ جامعة الأزهر، العدد الخامس . من مقال بعنوان : «الاشتقاق عند اللغويين : د. فتحي الدابولي»، ص 369 ـــ بتصرف.